تمّام حسين طعمة – سورية

حمأةُ الضَّوءِ

من حَمأَةِ الضَّوءِ حينَ ارْتَدَّ عَن أُحُدِ
وَأَثقَلَتهُ خُيوطُ الـرُّوحِ بالرَّصَدِ

وَعَمَّدَتهُ، ومَا اللاوَعيُ حينَ بَدَا
فِي هَـدأَةِ الليلِ.. إلَّا نِصفُ مُتَّقِدِ

من لَثغَةِ الشَّبَهِ الوَضعيِّ، من رِئَةٍ
تَـنـزُّ بِالشعرِ كَـالـبـلـوَرِ بِـالـبَرَدِ

تَدوي عَلَى شَفةِ الرُّؤيَا الحُروفُ كما
تَدوِي معَ اللغَةِ العَمياء فِي الخَلَدِ

تَضجُّ كلُّ بحورِ الشِّعرِ تُغرِقُني
وأُغـرِقُ الشِّعرَ فِي إرهَاصَةِ الكَبِدِ

أُطلُّ من صَـدرِيَ المَطعُونِ زَنبَقَةً
مَالَت علَى ظِلِّهَا المَمدُودِ كَالأَمَدِ

أَضـلُّ أَلـفَ طَريقٍ، كُـلُّ بَوصَلَةٍ
مَضَلَّةٌ، والمَجازُ الشِّعرُ لَم يُفِدِ

أَعودَ مُحتَشداً بِالخَوفِ تَدفَعُني
أَعِنَّةُ الشَّوقِ أَن أُمـضِي بِلا أَحَدِ

أَمضي إلى حُجرَةٍ بالضَّوءِ مُوصَدَةٍ
وَأَخفِضُ الجُنحَ أَنسَى عِندَها كَمدِي

أَلـوذُ بِـالـبُردةِ الأُولى.. أَضَمِّدُها
جُرحَ الفؤادِ وَأَتلُو سورةَ الصَّمدِ

لِي خَافقٌ مُشرَئبُ الرِّيحِ مُختَنِقٌ
وَلِي اضْطِرَاباتُ مَا أَخفَيتُ فِي اللبَدِ

وَمنطِقٌ أَعـرَجٌ مَهمَا بَلغتُ بِهِ
لَن أَبلُغَ المُبتَغَى إلَّا مِن الزَّبَدِ

وَلِيْ.. ومَن لِيْ سِواكَ الآنَ أُخبِرُه!
أَنِّيَ عَـلى ضِفَّةِ اللقيَا بِغيرِ يَـدِ.

كَفرتُ بالشِّعرِ حِينَ ارْتَجَّ، وَانْحَسَرتْ
عَنهُ الكِنَاياتُ، وابْيَضَّت علَى قَتَدِي

وَجِئتُ مُعتَذِراً طَـورَاً ومُقتَصِراً
وَالحُبُّ فِي أَضلُعِي ضَربٌ مِن السَّدَدِ

أَدنُو مِن البَابِ، مفتَاحُ الهَوى كَلِمٌ
مِن الكِتابِ.. وَآثَـامِـي بِلا عَـدَدِ

وخيبَتي في ضياعِ العُمْر تجلدُني
بسَوْطِ أوهامِها المُشتدِّ كالوَتدُ

الدَّمعُ يَسبقُني.. والحُلمُ يَحملُني
وَنظـرَةٌ مِنكَ تَاريـخٌ من الرَّغَدِ

لِيْ حكمَةُ الرَّجلِ المَهزومِ.. حُرقَتُهُ
وَخِـفَّـةُ الشَّبَحِ المَحشُوِّ في الـبردِ

يَا مَن أَتَيتُكَ والأَغلالُ ملءَ فَمي
وَالكَفُّ مَعقودَةُ الأَطـرافِ كَالزَّرَدِ

وَالـرُّوحُ خَاوِيَةُ المَعنَى مُلَعثمَةٌ
مِثلُ المَواجِعِ والأَهـوالُ مُستَنَدِي

لَمْ أَكتَملْ بَعدُ، نِصفي حَيرَةٌ وَهَوى،
وَمدحُ مِثلِكَ يروي قلبَ كلِّ صدي

وُلِـدتَ في غَـمـرَةٍ.. نُـوراً وَتَبصرةً
لِلعَالَمينَ، بِـذكـرٍ غَـيرِ مُنتَقَدِ

كَـأَنَّ جِـبريـلَ لَـمَّا جَـاءَ مُـحـتَرِزاً
وَشـقَّ مَـا شَـقَّ لكِنْ دُونمَـا كَبَدِ

قَد طَهَّرَ الكونَ في جَنبَيكَ مُعجِزَةً
وَظـلَّ قَلبُكَ مُخضَلّاً بِـلا رَمَـدِ

وَقُمتَ أَنتَ ضِياءَ الدِّينِ.. جَذوتَهُ
وَسَيفَهُ الخَالدَ المَمشوقَ بِالرَّبَدِ

تجرُّ خلفكَ فجرًا أنـتَ مولده
حتى أضـأت بحقٍّ غـير مقتصد

صَدَحتَ بِالحَقِّ لمَّا كنتَ مُنفرداً
وَبعدَها جَاءكَ الأَصحابُ كَالأُسُدِ

مَا هجرَةٌ يَابنَ عبدالله؟ مَا وَجَلٌ؟
تِلكَ الطَّريقُ وهذَا الغَارُ ذُو الصَّفَدِ

يَا ثَـانِيَ اثنَينِ والصِّديقُ صَاحبُهُ
تقولُ: لَا تَحزَنَ، الرَّحمَنُ مُعتَمَدِي

خَـيرُ الـبَرِيَّـة قـومٌ أَنـتَ قَائدُهم
لَولاكَ مَجدُ بَنِي قَحطانَ لَم يَعُدِ

فَتلكَ بَـدرٌ كـأنَّ الآنَ وَطأتها
تَشتدُّ حتَّى تَـدكَّ الـشركَ لِلأَبدِ

لفتحِ مَكَّة، هَـذا الفَتحُ مَفخرَةٌ
لَمَّـا عَـفَـوتَ بِـلا ظلمٍ ولا فَنَدِ

أَفديكَ يا قبَّةَ الإسَـلام.. عُروتَه
الوثقَى التي نَتقفَّى .. فَجرَ كلِّ غَدِ

معلِّمٌ أَنـتَ مَـا زلَّـت مَعالمهُ
وَلَـم يَـزَلْ عِلمُهُ يَربُو بِلا عُقَدِ

بالوَحيِ مُتَّصلٌ يُوحَى إليه، ومَا
كَانَ الَّذي كَانَ إلَّا حِكمَةُ الصَّمَدِ

حتَّى دَعـاكَ لِزُلفَى عندَ سدرَتِه
لَكَ الوَسِيلةُ لَم تَبعد ولَم تَحِدِ

قَد غِبتَ لَكن بسرٍّ لستُ أَعلَمُه
ومَن يَذُقْ من نَعيمِ اللهِ يَحتَشِدِ

الأنبياءُ نجومَاً حولَكَ اجْتَمَعُوا
تَؤُمُّهُم.. فَعلامَ النَّاسُ فِي بَـددِ؟

دَانت لكَ الأرضُ والتِّيجانُ في بلدٍ
أَنعِمْ وأَكـرِمْ بِهذَا الحِلِّ وَالبَلَدِ

لَا تُوقَدُ النَّارُ شَهراً فِي مَضَارِبِهِ
هَذا النَّبيُّ.. ومَا فِي البيتِ مِن قدَدِ

يَقومُ، حتَّى يقولَ الأهلُ: وا عَجباً.
ووَحـدَهُ قائمٌ في غَيهَبِ الجَلَدِ

ومـا تـقـدَّم مـغـفـور لـه أبـدًا
ومـا تـأخَّـر، لكن شـاكـرُ المـددِ.

مُحمَّدٌ.. مَا قضَى الرَّحمنُ من نعَمٍ
لِلعَالَمينَ، وَكـلُّ الكَونِ فِي شِـدَدِ

صـلَّى وسـلَّـمَ، صـلَّى كـلَّ ثَانيَةٍ
عَليكَ مَن قَطُّ لَم يُولَدْ ولَم يَلِدِ

تمَّام حسين طعمة - سورية